

مقالة: النجاح يحتاج إلى قلب كبير

من
كتاب:

نظائر

تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد

دار ابن الجوزي

النجاح يحتاج إلى قلب كبير

الحياة ميدان فسيح للنجاحات والإخفاقات، وهي - في الوقت نفسه - محايدة ومبدولة لكل من أراد السعي فيها.

وَرَبُّ الْحَيَاةِ - جل ثناؤه - يقول: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

ويقول: ﴿كَلَّا نُمَدِّدُ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطْلَةِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

والرابع الموفق من اغتنم هذه الحياة، وملاها بما يرضي الله، وينفع الناس.

وهذا مما تفاوت فيه همم الناس رفعةً وحِطَّةً.

والمقصود ههنا ما يكون في شأن النجاح، وتفاوت الناس فيه؛ فهناك النجاح الصغير، وهناك النجاح الكبير.

وهناك النجاحات الكثيرة، وهناك النجاحات اليسيرة.

وما العظمة إلا مجموعة نجاحات، وربما كانت يسيرة.

وما من ريب أن النجاح الكبير يحتاج إلى قلب كبير؛ إذ

قد يتيسر للإنسان أن يحقق نجاحات فردية قاصرة، أو عامة مُتعدية.

وهذا أمرٌ ليس بالهين؛ فكل جهد يبذله الإنسان في سبيل الرقي بنفسه، أو بمن حوله - هو عمل يرتفع به في سماء السيادة والمجادة درجات.

ولكن الشأن كل الشأن هو ذلك النجاح الذي ينهض بالأمة جمعاء، ويشترك في القيام بإصره جمعٌ كثير؛ إذ إن ذلك يحتاج إلى قلوب كبيرة تعرف كيف تتعاون على العمل، وتتعاقد في سبيل استمراره، وتسعى سعيها في رَأب كل صدع يحول دون بلوغ الغايات، وتتغاضى وتغض الطرف عن بنيات الطريق التي ربما تنهك العمل، أو تقطعه، وتعرف كيفية التعامل مع الطبائع المختلفة، والأمزجة المتقلبة، والجفوات العارضة، وتحسن اغتنام الفرص، وتحرص كل الحرص من الإفادة من كل أحد، وعلى مَدِّ يد العون لجميع من يشارك في النجاح على حد قول الأول:

فاضُمُّمُ أَقاصِيَهُمُ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْهَضُ الْوَادِيَّ بِغَيْرِ شَعَابِ
فَمَنْ كَانُوا كَذَلِكَ فَهَمُ جَدِيرُونَ بِبَلُوغِ الْمَآرِبِ، وَنَيْلِ
الْمَقاصِدِ، مُسْتَحِقُونَ لِلْكَرَامَةِ وَالْعِزَّةِ، وَحُلُولِ الْبِرْكَاتِ فِي
أَعْمَالِهِمْ، وَأَعْمَارِهِمْ.

ولا يقتصر النجاح الكبير على ما كان في شأن الأمة جمعاء، بل هناك نجاحات طيبة، كنجاحات المؤسسات، ونجاحات الأسر، ونجاحات الشركات؛ فكل ذلك، وما جرى مجراه يحتاج إلى قلوب كبيرة تنظر في العواقب، وتقدر عمل

العاملين، وتعترف للمحسن، ولا تبخس الناس أشياءهم؛ فهذا هو دأب القلوب الكبيرة.

بخلاف القلوب الصغيرة التي تهوى الأثرة، وترغب في الانفراد بخصال الحمد، ولا تريد أن يُذكر أحدٌ بخير سواها، وتود أن تحمد بما لا تفعل؛ فهذه القلوب لا يرجى منها عمل عظيم، ولا خير كثير.

والحاصل من ذلك أن الأعمال العظيمة إذا توزعتها الأيدي خفَّ حملها، وعظمت بركتها، وتسلسل نفعها وآثارها؛ فمسيرة الباخرة أنفع وأعظم من مسيرة السفينة، ومسيرة السفينة أعظم وأنفع من مسيرة القارب؛ فأكرم بالقلوب الكبيرة التي تعمل، وتحب من يعمل، وترغب من كل أحد أن يعمل. وسامح الله قلوباً صغيرة تبخل، وتأمر الناس بالبخل، وترضى من الناس بالبخل.

